

نقد لمقال "اختطاف الحزب- د. ميلاد السبعلي"

شكراً رفيق عادل بشارة على هذا المقال، وأرجو أن يتسع صدرك لبعض النقد في المنهج: يتكون هذا المقال برأبي من ثلاثة عناصر :

1 توصيف تفصيلي للوضع الحزبي، مع محاولة تحديد حالته بأنها حالة "اختطاف" من قبل "زمرة" متحكمة، وشرح معالم هذه الحالة وسلوكيات "الزمرة".

2 محاولة الاستعانة بأبحاث وعلماء وحالات مشابهة لتدعيم صوابية التشخيص في النقطة الأولى، وإعطاء المعالم والسلوكيات التي وصفتها في الحزب سمات عامة لها صفة علمية من حيث أنها عصارة أبحاث عالمية أو نتائج تجارب عملية. وقد تم استخدام عبارات كهذه بشكل متكرر:

"اختطاف الأحزاب السياسية ليس أمراً جديداً أو غير مألوف. فقد سقط العديد من الأحزاب السياسية في جميع أنحاء العالم، عند نقطة معينة، ضحية للاختطاف ودفعت ثمناً غالياً نتيجة ذلك. تمكن بعض الأحزاب من إنقاذ نفسه، وأحزاب أخرى لم يحالفها الحظ في ذلك"، يقول علماء النفس وعلماء الاجتماع إن الزمرة الحاكمة تحتفظ بالسيطرة من خلال... إلخ"، وهذا يرتبط بما يسميه علماء السياسة "توطيد مناعة الانقلاب"... إلخ"، وتظهر الدراسات العلمية للأحزاب السياسية التي سقطت ضحية الاختطاف أنه (...) وتشير الدراسات نفسها إلى أن أعلى مستوى من الإصلاح يمكن تحقيقه... إلخ".

3 الوصول إلى خلاصة أن فيروس "اختطاف الأحزاب" قد امتد إلى حزبنا، وأن لا علاج عبر أنصاف الحلول بل من خلال "العمل الجراحي الجذري الذي من شأنه نفي الفيروس من جسد الحزب واستئصال الورم الذي سببه وأدى إليه"، وتحث القوميين على التصرف فوراً وألا يكونوا "غير قادرين على تخليص الأمة من الفيروسات العديدة التي تصيب جسمها الذي يتحلل بشدة". الملاحظات:

أ- العنصر الأول يتضمن وصفاً تفصيلياً للواقع الحزبي ومحاولة لتشخيص المرض أو الفيروس، دون اللجوء إلى مسبباته، ودون إظهار مدى مسؤولية من هادن "الزمرة" لعشرات السنين وصفق لها وشارك معها ثم جاء اليوم لينتفض عليها. لا أريد أن أقلل هنا من مسؤولية "الزمرة" نفسها طبعاً، وأنا كنت كتبت بحثاً طويلاً حول العصبية الجماعية العمياء يتفق مع الكثير من توصيفاتك في هذا المقال.

ب- العنصر الثاني، وهو الأضعف في المقال برأبي، إذ لا يجوز الاستشهاد لعدة مرات بباحثين مجهولين وبتجارب أحزاب مجهولة شخصت العلة ومنها من استطاع الخروج من حالة "الاختطاف" ومنها من لم يستطع. فهذا من الناحية العلمية عيب كبير لا يجوز لباحث مميز مثلك الوقوع به. لا بد من تحديد من هم علماء الاجتماع والنفس والسياسة الذين تشير إلى نتائج أبحاثهم، وإعطاء أمثلة عن الأحزاب التي تعرضت ل"الاختطاف"، وأي منها استطاعت الخروج وكيف، وأي منها لم تستطع ولماذا. وإلا لن يكون هناك قيمة علمية بسوق هذه الشواهد "العلمية" المجهولة، وهذا يشكك في كون التشخيص الذي تسوقه تشخيصاً علمياً عاماً خارج نطاق توصيفك لأزمة الحزب.

ج- العنصر الثالث، هو مبتسر، يصف ما يجب عمله ببضع كلمات، دون أن يحدد كيف يمكن إجراء العمل الجراحي الجذري الذي يستأصل الورم. فهل ذلك يتم بالخروج من التنظيم الحالي وتأسيس حزب جديد؟ أم بالإنتقلاب على "الزمرة" واقصائها بالقوة من الحزب؟ أم هناك طريق ثالث؟ إن عدم تحديد ملامح "الكيف" وبنفس الوقت وضع القوميين في موقف حرج بأنهم إن لم يتحركوا فوراً، "سواء كان ذلك خوفاً أو جهلاً"، يكونوا عاجزين. فالدعوة إلى تحرك عام وفوري لم تحدد معالمه قد يبدو للكثيرين تشجيعاً على خطوة إرتجالية في المجهول. فالفوضى لا تحارب بالفوضى.

أرجو أن تكون هذه الملاحظات مفيدة لجهة بلورة الطرح وتدعيمه ليتحول إلى مشروع قابل للتطبيق. أما رأيي في موضوع هذا المقال وكيفية النهوض بالحزب مجدداً، فهذه مسألة أخرى لا مجال لبحثها في هذه العجالة، وعنوانها الوحدة والإصلاح والتحديث.
مع تقديري ومحبتي